حصر القرآن لأقسام الأديان
(دراسة عقدية)

إعداد
د. شريفة بنت أحمد الحازمي
الأستاذ المشارك بكلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين؛ ومن سار علىٰ نهجهم إلىٰ يوم الدين، وبعد:

فهذا بحث في أقسام ديانات البشر التي ورد بها الشرع، وفي التعريف بأصولها العقدية الكبرىٰ، وبيان الدين الحق الذي يقبله الله تعالىٰ وينجو به العبد يوم القيامة، وقد استخدمت فيه منهج الاستقراء للآيات التي وردت بتقسيم الأديان وبالحكم علىٰ أصحابها، وتحليلها، وقد خرجت بنتائج مهمة في هذا البحث؛ منها أن الدين في الاصطلاح العام قد يطلق علىٰ الدين الحق والدين الباطل، ومنها أن أقسام الأديان التي ينضوي تحتها جميع البشر؛ وتندرج فيها جميع ملل العالم؛ ست ديانات، ذكرها الله تعالىٰ في كتابه الكريم في موضع واحد في سورة الحج؛ وهي: الإسلام واليهودية والنصرانية والصابئة والمجوسية والشرك، ومنها أن الإسلام هو دين الأولين والآخرين، وأن الله تعالىٰ لا يقبل ديناً سواه، ومنها أن كل من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر قبل بعثة النبي صلىٰ الله عليه وسلم فهو علىٰ الإسلام؛ وأن الله تعالىٰ لا يقبل بعد بعثة النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلا الإسلام الذي جاء به النبي صلىٰ الله عليه وسلم من عند الله تعالىٰ؛ وأنه قد نسخ به جميع الأديان السابقة عليه.

الكلمات المفتاحية:

الدين – حصر – القرآن – العقيدة – ملل – الأصول

❊ ❊ ❊

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا (٧٠) يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإن الإسلام الذي هو دين الأولين والأخرين الذي أمرنا الله تعالىٰ أن نحيا عليه ونموت عليه والذي هو الحنيفية السمحة التي بعث بها جميع الأنبياء والمرسلين؛ يقوم علىٰ قاعدتين عظيمتين بينها الله تعالىٰ في كتابه الكريم؛ قاعدة الإيمان بالله ﷻ المستلزم لأركان الإيمان الأخرىٰ، وقاعدة العمل الصالح علىٰ هدىٰ من الله ونور ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران ٨٥]، فَمنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فهو من أهل الإيمان والسعادة والنجاة، ومن لم يؤمن بذلك أو آمن ثم بدّل كان من أهل الشرك والشقاء، وقد أشار الوحي إلىٰ انقسام الناس إلىٰ هذين القسمين، وأشار كذلك إلىٰ الطوائف التي تندرج تحت كل قسم، وبين أن مردهم إلىٰ الله تعالىٰ وهو علىٰ كل شيء شهيد.

وقد جعلت هذا البحث في الحديث عن هذه الأقسام تحت مسمىٰ "حصر القرآن لأقسام الأديان" وترجع أسباب اختيار هذا الموضوع وأهميته للأمور التالية:

١- الوقوف علىٰ الأديان التي ينضوي تحتها كل البشر ومعرفة أصولها الكبرىٰ التي تعتمد عليها ومعتقداتها التي ترتكز إليها.

٢- الاستناد إلىٰ أدلة صحيحة في تمييز هذه الأديان وما لديهم من معتقدات باطلة

وشبه فاسدة.

٣- الحاجة إلىٰ تصنيف مستمد من الكتاب والسنة لملل العالم وأديان البشر، ومعرفة حكم الشرع فيها، وفي أصحابها المنتسبون إليها.

٤- الكشف عن خطورة دعوىٰ المساواة بين الإسلام وبين الأديان الأخرىٰ وجمعها تحت مسمىٰ الأديان الإبراهيمية أو السماوية إذ كيف يتساوىٰ الحق والباطل والتوحيد والشرك.

خطة البحث:

سيكون في هذا البحث تمهيد ومبحثين تسبقهما المقدمة، وتتبعهما الخاتمة ثم فهارس البحث.

أما **المقدمة** ففي أهمية البحث وأسباب اختياره ومحتواه ومنهج البحث فيه.

وأما **التمهيد** ففي التعريف بالدين لغة واصطلاحـًا وأهمية معرفة أقسام الأديان بطريقة علمية صحيحة.

وأما **المبحث الأول** فهو بعنوان:"حصر القرآن لأقسام الأديان"، وقد ذكرت فيه أقسام الأديان في القرآن الكريم؛ وأما **المبحث الثاني** ففي التعريف بالأديان التي ينضوي البشر تحتها وفي الأصول العقدية الكبرىٰ لها.

ثم **الخاتمة**، وفيها أهم نتائج هذا البحث ثم فهرس المراجع وفهرس الموضوعات.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد.

❊ ❊ ❊

التمهيد

أولاً: تعريف الدين لغة واصطلاحـًا.

ثانيـًا: أهمية معرفة أقسام الأديان وثمرة ذلك.

أولاً: تعريف الدين لغة واصطلاحاً:

الدين لغة:

الدين في لسان العرب مصدر دان يدين دينـًا وديانـةً، وهـو جنس من الانقياد والذل؛ قال ابن فارس:"الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل، فالدين: الطاعة؛ يقال: دان له يدين دينا إذا أصحب وانقاد وأطاع، وقوم دين أي مطيعون منقادون"[1].

والدين هو الإسلام، والطاعة، ويأتي أيضـًا بمعنىٰ الجزاء والمكافأة والحساب، كما يأتي بمعنىٰ الحال والعادة والشأن، والجمع أديان، والديان اسم من أسماء الله جل وعلا ومعناه"المجازي المحاسب"[2]. ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب.

فلفظ"الدين"له ثلاث حالات في لغة العرب:

- أن يرد متعديا بنفسه:"دان يدين دينـًا"؛ والمعنىٰ ملك وقهر وحاسب وكافأ، يقال: دنته دينـًا؛ أي: كافأته، ودانه دينـًا أي جازاه وكافأه.
- أن يرد متعديـًا بالباء:"دان به"؛ والمعنىٰ: اتخذه دينـًا ومذهبـًا وعادةً وطريقة. قال الجوهري:"دان بكذا ديانةً؛ وتدين به فهو ديّن ومتديِّن"[3].
- وإذا تعدىٰ باللام:"دان له"؛ كان المعنىٰ: خضع وانقاد وأطاع، وذلَّ؛ يقال: دنت له؛ أي: أطعته، ودان له أي أطاعه.

---

(1) معجم المقاييس في اللغة ٣٧٢، وانظر: لسان العرب مادة"دين".

(2) فقه الأسماء الحسنىٰ ٣١٧.

(3) الصحاح ٥/ ٣١٩.

قال في اللسان:"والدين لله من هذا إنما هو طاعته والتعبد له"[١].[٢].

الدين في الاصطلاح:

الدين في الاصطلاح العام يطلق على الدين الحق والدين الباطل كما قال سبحانه: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]، وهو لا يخرج عن معناه في اللغة، ولابد فيه من المحبة والإرادة؛ فهي أصل كل دين سواء كان ديناً صالحاً أو ديناً فاسداً.

والدين في الاصطلاح العام معناه:"ما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به من أمور الغيب والشهادة"[٣].

أما الدين الحق فهو:"طاعة الله وعبادته"[٤]، وهو"التسليم لله تعالى والانقياد لشرعه وأمره"؛ قال ابن تيمية:"الدين الحق الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله: هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وكل دين وطاعة لا يكون لله فهو باطل؛ فكل دين سوى الإسلام فهو باطل"[٥].

ثانياً: أهمية معرفة أقسام الأديان وثمرة ذلك:

تتضح أهمية معرفة أقسام الأديان وثمرتها في عدة أمور، هي:

- عناية القرآن والسنة عموماً ببيان أقسام الأديان، وبيان ما حوته من عقائد باطلة وشبهات فاسدة ومخالفات تمس الأصول والشرائع، وتقرير الحق بدليله؛

(١) لسان العرب ١٣/ ١٧٠.

(٢) انظر في معنى الدين في اللغة: لسان العرب مادة"دين"، القاموس المحيط مادة"دين"، الصحاح مادة دين، المعجم الوسيط ٣٠٧، الدين محمد عبد الله دراز.

(٣) الموجز في الأديان ١٠.

(٤) قاعدة في المحبة ١٠٠.

(٥) قاعدة في المحبة ١٠٢، ١٠٣؛ وانظر: الموجز في الأديان ١٠، مدارج السالكين ٤/ ٤٨٤ – ٤٨٥.

ليميز الله الحق من الباطل.

– اهتمام السلف الصالح وأئمة الدين بمعرفة مذاهب أهل الباطل والرد علىٰ شبهاتهم، وإقامة الحجة عليهم؛ تجلية للحق، وكشفـًا للباطل؛ حتىٰ يحذره الناس ويميزوا بينه وبين الحق.

– معرفة منهج الوحي في تقسيم الأديان وحكمه فيها، واتخاذ الموقف السديد حيالها، والرد عليها بأسلوب منهجي علمي شرعي.

– تحصين الأمة – وشبابها خاصة – ضد الغزو العقدي والفكري الموجه لهم بقوة ومحاولة الأعداء للتشكيك في الحق والترويج للباطل أو جعله مساويـًا للحق بدعوىٰ وحدة الأديان والسعي لتوحيدها.

– اهتمام علماء المسلمين بالتصنيف في الملل والنحل والديانات، وحصر أقوال أصحابها وبيان مذاهبهم – علىٰ اختلاف بينهم في المنهج والطريقة المتبعة في ذلك – إدراكـًا منهم بأهمية ذلك والحاجة إليه.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
حصر القرآن لأقسام الأديان

ورد حصر أديان أهل الأرض جميعـًا – مؤمنهم وكافرهم – وملل العالم كافةً؛ في قول الله تعالىٰ في سورة الحج: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧]، قال ابن القيم:"الله سبحانه وتعالىٰ بعث محمداً رسولاً إلىٰ أهل الأرض، وهم خمسة أصناف قد طبقوا الأرض: يهود، ونصارىٰ، ومجوس، وصابئون، ومشركون؛ وهذه الأصناف هي التي كانت قد استولت علىٰ الدنيا من مشارقها إلىٰ مغاربها"(١).

ولما بين الله سبحانه في الآية أقسام الديانات في الأرض؛ ذكر بأنه سبحانه يفصل بينهم يوم القيامة؛ فهو الشهيد علىٰ أفعالهم، وهو سبحانه الحفيظ لأقوالهم.

والفصل هو الحكم؛ والمعنىٰ أن الله تعالىٰ هو يحكم بينهم، ويفصل فيما اختلفوا فيه من تصحيح الديانة، وجملة"إن الله علىٰ كل شيء شهيد"مستأنفة علىٰ الابتداء وذلك للإعلام بإحاطة علم الله ﷻ بأحوالهم واختلافهم والصحيح من أقوالهم.

يقول الطبري:"إن الفصل بين هؤلاء المنافقين؛ الذين يعبدون الله علىٰ حرف، والذين أشركوا الله فعبدوا الأوثان والأصنام، والذين هادوا وهم اليهود، والصابئين، والنصارىٰ، والمجوس الذين عظموا النيران وخدموها، وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلىٰ الله؛ وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء، وفصله بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم، والجنة المؤمنين به وبرسله فذلك هو الفصل من الله بينهم"(٢).

ويقول ابن كثير في ذلك:"يخبر تعالىٰ عن أهل هذه الأديان المختلفة؛ من المؤمنين

---

(١) هداية الحيارىٰ ٢٣٥.

(٢) جامع البيان ١٦/ ٤٨٥.

ومن سواهم من اليهود والصابئين... والنصارىٰ والمجوس والذين أشركوا فعبدوا غير الله معه فإنه تعالىٰ ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ويحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار؛ فإنه تعالىٰ شهيد علىٰ أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم وما تكن ضمائرهم"(١).

فقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧]، دلَّ علىٰ أن البشرية جمعاء تنضوي تحت أصول ست ديانات(٢)، أصحابها هم:

- الذين آمنوا، وهم أهل دين الإسلام والحنيفية السمحة.
- الذين هادوا، وهم أتباع الديانة اليهودية.
- الصابئون، وهم أتباع ديانة الصابئة.
- النصارىٰ، وهم أتباع الديانة النصرانية.
- المجوس، وهم أتباع المجوسية.
- الذين أشركوا، وهم أهل الشرك والوثنية.

ومما يشهد لهذا التقسيم ويدل علىٰ أنه تقسيم حاصر، وتقسيم صحيح معتبر، أمور؛ منها:

- ورود الآية به في كتاب الله تعالىٰ ودلالتها علىٰ استيعاب جميع الديانات التي ينتمي إليها البشر، فلفظ "الذين" لفظ عام يندرج تحته كل فرد ممن ينتمي لتلك الملة وذلك الدين؛ فـ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ مثلاً لفظ عام، يندرج تحته كل مؤمن من كل ملة، قال ابن عطية: "الذين لفظ عام لكل مؤمن من ملة محمد، ومن غيرها من الملل"(٣).

وقد جعل الله تعالىٰ المؤمنين صنفاً واحداً، شاملاً لكل من آمن بالله واليوم

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٢٣٦٨.

(٢) انظر: هداية الحيارىٰ ٢٣٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٦.

الآخر؛ من كل ملة ودين، في مقابل بقية الأصناف الخمسة.

والمعنىٰ أن الآية قد جعلت الناس قسمين قسم مؤمن وقسم ليس بمؤمن وهم من لم يؤمن من الأصناف الخمسة الباقية وليس هناك وسط بينهما فدل ذلك علىٰ أن هذه هي أقسام الأديان في الأرض.

– أن الآية وردت في سياق بيان التفويض إلىٰ الله تعالىٰ في الحكم بين أهل الملل، والفصل بينهم يوم القيامة(١)، ومعلوم أن الفصل الذي يكون بين العباد يوم القيامة لا يستثني أحداً؛ فدلت الآية علىٰ أنها حاصرة لكل ملة ونحلة في الدنيا، ويدل عليه قول عكرمة:"فصل قضاءه بينهم فجعل الخمسة مشتركة وجعل هذه الأمة واحدة"(٢)؛ وجعل مقتضىٰ حالهم هنا واحداً وهو الإعلام بشمول فصل القضاء جميع الناس أيًا كانت ملتهم ودينهم وأنهم أمام عدل الله سواء ويدل عليه:

– الآيتين في سورة البقرة وسورة المائدة وهي قول الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]،وقوله تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] فقد"تضمنت الآيتان الخبر عن أديان أهل الأرض التي أصلها صحيح في أهلها، وهم سعداء، وذلك أن الدين إما أن يكون أصله حقـًا كدين أهل التوراة والإنجيل والقرآن، أو أصله باطلاً كدين المشركين، والذي أصله حق إما أن يكون صاحبه متبعـًا له حين كان مشروعـًا من غير نسخ ولا تبديل، أو هو متبع للمبدل والمنسوخ دون الناسخ، فالناس ثلاثة أصناف؛ فالسعداء هم الصنف الواحد؛ وهم المذكورون في هذه الآية (آية سورة البقرة)، وأما من أشرك وكذب الرسول؛ كالمشركين كلهم أو كذب بعض

(١) انظر: التحرير والتنوير ٤/ ٢٧١.

(٢) الدر المنثور ١٠/ ٤٣٣، وقد رواه ابن أبي حاتم عن عكرمة وفيه تصحيف انظر ٨/ ٢٤٧٨.

الرسل دون بعض؛ كالكفار من أهل الكتاب؛ فهم الأشقياء، وهم من أهل الوعيد والعذاب، سواء أظهروا ذلك، أو أخفوه كالمنافقين من هذه الأمة"(١).

والمقصود أن الآيتين المذكورتين في سورة البقرة وآل عمران هي في بيان أهل السعادة والنجاة من أهل الأديان جميعًا، وآية سورة الحج جعلت السعداء صنفًا واحداً وهم هؤلاء أهل السعادة من أهل الملل الأربع من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا وجعلت البقية مشتركة في عدم الإيمان، مما دل على حصرها جميع الأديان والملل، إذ الناس إما مؤمن أو غير مؤمن ولا ثالث لهما على الحقيقة في علم الله تعالى(٢).

– استنباط السلف لهذا التقسيم من خلال هذه الآية فقد روى الطبري بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ ﴾ [الحج: ١٧]، قال: الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرأون الزبور، والمجوس يعبدون الشمس والقمر والنيران، والذين أشركوا يعبدون الأوثان، والأديان ستة خمسة للشيطان، وواحد للرحمن"(٣).

وعند ابن أبي حاتم بسنده عن قتادة قال:"الأديان ستة: فخمسة للشيطان ودين لله ﷻ"(٤).

وقد ذكرت عامة كتب التفسير هذا الأثر عن قتادة(٥)، وذكره الرازي عنه وعن مقاتل(٦)، وذكره ابن القيم عن ابن عباس رضي الله عنهما(٧).

---

(١) تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٦٦ – ٢٦٧.

(٢) انظر: الصفدية ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، ٣٠٤؛ تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٦٦ وما بعدها.

(٣) جامع البيان ١٦/ ٤٨٥ – ٤٨٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٧٨.

(٥) انظر: جامع البيان ١٦/ ٤٨٥، ٤٨٦، الدر المنثور ١٠/ ٤٣٣، المحرر الوجيز ١١/ ١٨٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٧٨، تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ١٩.

(٦) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ١٩.

(٧) انظر: هداية الحيارى ٢٣٧.

- توافق المفسرين من أهل السنة وغيرهم على إيراد هذا الأثر في تقسيم الأديان دون التعقيب عليه بمناقشة(١) أو ردٍّ مما يدل على أنهم يرونه، بل تصريح بعضهم بأن الآية حاصرة لجميع الديانات في العالم؛ فقد قال الرازي عند تفسير هذه الآية:"واعلم أنه تعالى لما قال: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴾ [الحج: ١٦] أتبعه في هذه الآية ببيان من يهديه ومن لا يهديه، وأعلم أن المسلم لا يخالفه في المسائل الأصولية إلا طبقات ثلاثة؛ أحدها: الطبقة المشاركة له في نبوة نبيه؛ كالخلاف بين الجبرية والقدرية.

وثانيها: الذين يخالفونه في النبوة ولكن يشاركونه في الاعتراف بالفاعل المختار؛ كالخلاف بين المسلمين واليهود والنصارى في نبوة محمد وعيسى وموسى عليهما السلام؛ وثالثهما: الذين يخالفونه في الإله وهؤلاء هم السوفسطائية المتوقفون في الحقائق، والدهرية الذين لا يعترفون بوجود مؤثر في العالم، والفلاسفة الذين يثبتون مؤثراً موجباً لا مختاراً.

فإذا كانت الاختلافات الواقعة في أصول الأديان محصورة في هذه الأقسام الثلاثة، ثم لا شك أن أعظم جهات الخلاف هو من جهة القسم الأخير منها، وهذا القسم الأخير بأقسامه الثلاثة لا يوجدون في العالم المتظاهرين بعقائدهم ومذاهبهم؛ بل يكونون مستترين.

أما القسم الثاني، وهو الاختلاف الحاصل بسبب الأنبياء عليهم السلام فتقسيمه أن يقال:

القائلون بالفاعل المختار إما أن يكونوا معترفون بوجود الأنبياء، أو لا يكونوا معترفين بذلك، فإما أن يكونوا أتباعاً لمن كان نبياً في الحقيقة، أو لمن كان متنبئاً أما أتباع الأنبياء؛ فهم المسلمون واليهود والنصارى، وفرقة أخرى بين اليهود والنصارى وهم الصائبون، وأما أتباع المتنبئ فهم المجوس، وأما المنكرون للأنبياء

(١) انظر: جامع البيان ١٦/ ٤٨٥، ٤٨٦، الدر المنثور ١٠/ ٤٣٣، المحرر الوجيز ١١/ ١٨٥، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٧٨، تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ١٩.

علىٰ الإطلاق فهم عبدة الأصنام والأوثان؛ وهم المسمون بالمشركين؛ ويدخل فيهم البراهمة علىٰ اختلاف طبقاتهم؛ فثبت أن الأديان الحاصلة بسبب الاختلافات في الأنبياء عليهم السلام هي هذه الستة: التي ذكرها الله تعالىٰ في هذه الآية، قال قتادة ومقاتل الأديان ستة واحد لله تعالىٰ وهو الإسلام، وخمسة للشيطان"(١).

ومثله تصريح الطاهر بن عاشور بذلك في تفسيره للآيات الثلاثة المتقدم ذكرها في الفصل بين الأديان وبيان أهل النجاة منهم، فعند تفسيره لآية سورة الحج وقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧]؛ قال:"لما اشتملت الآيات السابقة(٢) علىٰ بيان أحوال المترددين في قبول الإسلام كان ذلك مثاراً لأن يتساءل عن أحوال الفرق بعضهم مع بعض في مختلف الأديان، وأن يسأل عن الدين الحق؛ لأن كل أمة تدعي أنها علىٰ الحق، وغيرها علىٰ الباطل، وتجادل في ذلك، فبينت هذه الآية أن الفصل بين أهل الأديان فيما اختصموا فيه يكون يوم القيامة؛ إذ لم تفدهم الحجج في الدنيا، وهذا الكلام بما فيه من إجمال؛ هو جار مجرىٰ التفويض، ومثله يكون كناية عن تصويب المتكلم طريقته، وتخطئة طريقة خصمه، لأن مثل ذلك التفويض لله لا يكون إلا من الواثق بأنه علىٰ الحق وهو كقوله تعالىٰ: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١٥] وذلك من قبيل الكناية التعريضية"ثم قال:"وذكر المؤمنين واليهود والنصارىٰ والصابئين تقدم في آية البقرة؛ وآية العقود وزاد في هذه الآية ذكر المجوس والمشركين؛ لأن الآيتين المتقدمتين كانتا في مساق بيان فضل التوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر في كل زمان وفي كل أمة، وزيد في هذه السورة ذكر المجوس

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ١٩.

(٢) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحج: ١٥-١٦].

والمشركين؛ لأن هذه الآية مسوقة لبيان التفويض إلىٰ الله في الحكم بين أهل الملل فالمجوس والمشركون ليسوا من أهل الإيمان بالله واليوم الآخر"[١].

فابن عاشور هنا يبين أن آية سورة المائدة وآية سورة البقرة مسوقة لبيان الناجين فقط وأهل السعادة فحسب من أهل الملل جميعـًا فهي في بيان فضل التوحيد في كل زمان وفي كل أمة.

وآية سورة الحج هي مسوقة لبيان اختصاص الرب ﷻ بالفصل بين الخلائق جميعـًا علىٰ اختلاف مللهم وأديانهم.

- استظهار علماء أهل السنة لدلالة هذه الآية علىٰ أقسام الأديان:

فقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن قول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧]، هو إشارة إلىٰ ملل العالم أجمعين، وقول الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقوله تعالىٰ في سورة المائدة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩]هو بيان لأهل النجاة في الآخرة والسعداء يوم القيامة من أهل هذه الملل؛ فقال:"وقد ذكر في سورة الحج ست ملل فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فهنا لما ذكر فصله بينهم يوم القيامة ذكر الملل الست، وهناك لما ذكر السعداء؛ لم يذكر إلا الملل الأربع؛ فإن المجوس والمشركين ليس منهم من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحـًا بل كلهم كفار"[٢].

(١) التحرير والتنوير ٤/ ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٢) الصفدية ٢/ ٢٤٣ – ٢٤٤.

وقال أيضـًا:"وهو سبحانه ذكر في سورة الحج ملل العالم فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فأخبر أنه يفصل بين أهل الملل أجمعين، ولم يذكرهم هنا ليتبين المحمود منهم في الآخرة، وفي سورة البقرة والمائدة ذكر أربعة أصناف: المسلمين والذين هادوا والنصارىٰ والصائبين ثم قال: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فدل علىٰ أن هذه الأربعة منهم من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحـًا وأن أولئك هم السعداء"[(١)].

وذكر ابن القيم أن أديان أهل الأرض لا تخرج عن هذه الأصناف الستة؛ فقال:"وهذه الأصناف هي التي كانت قد استولت علىٰ الدنيا من مشارقها إلىٰ مغاربها؛ فأما اليهود فأكثر ما كانوا في اليمن وخيبر والمدينة وما حولها، وكانوا بأطراف الشام، مستذلين مع النصارىٰ، وكان منهم بأرض فارس مستذلة مع المجوس، وكان منهم بأرض المغرب فرقة، وأعز ما كانوا بالمدينة وخيبر وما حولها. وكان الله سبحانه وتعالىٰ قد قطعهم في الأرض أممـًا وسلبهم الملك والعز.

وأما النصارىٰ فكانوا طبق الأرض، فكانت الشام كلها نصارىٰ، وأرض المغرب كان الغالب عليها النصارىٰ، وكذلك أرض مصر، والحبشة، والنوبة، والجزيرة، والموصل، وأرض نجران وغيرها من البلاد.

وأما المجوس فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها؛ وأما الصابئة فأهل حران وكثير من بلاد الروم.

وأما المشركون فجزيرة العرب جميعها، وبلاد الهند؛ وبلاد الترك وما جاورها..."[(٢)].

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٣٠٤.

(٢) هداية الحيارىٰ ٢٣٥ – ٢٣٧.

ثم قال:"وأديان أهل الأرض لا تخرج عن هذه الأديان الخمسة، ودين الحنفاء لا يعرف فيهم البتة وهذه الأديان الخمسة كلها للشيطان؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره:"الأديان ستة: واحد للرحمن وخمسة للشيطان"وهذه الأديان الستة مذكورة في آية الفصل في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾"(١).

فسماها آية الفصل بعد أن بين حصرها للأديان جميعاً؛ وبين أن أهل الأرض لا تخرج أديانهم عن هذه الستة، وأن الحق منها هو دين الإسلام؛ الذي هو الحنيفية السمحة، وأما بقيتها فأديان باطلة من تزيين الشيطان.

وقال في موضع آخر:"وقد دل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]، علىٰ أنه دين جميع أنبيائه ورسوله وأتباعهم من أولهم إلىٰ آخرهم، وأنه لم يكن لله قط ولا يكون له دين سواه؛ فالإسلام دين أهل السموات، ودين أهل التوحيد من أهل الأرض؛ لا يقبل الله من أحد ديناً سواه؛ فأديان أهل الأرض ستة: واحد للرحمن، وخمسة للشيطان؛ فدين الرحمن هو الإسلام، والتي للشيطان: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والصابئة، ودين المشركين"(٢).

- ومن أشار إلىٰ ذلك أيضاً الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره؛ حيث بين أن آية سورة الحج(٣) تخبر عن جميع طوائف أهل الأرض، فقال:"يخبر تعالىٰ عن طوائف أهل الأرض من الذين أوتوا الكتاب من المؤمنين، واليهود، والنصارىٰ والصابئين، ومن المجوس، ومن المشركين أن الله سيجمعهم جميعهم ليوم القيامة، ويفصل بينهم بحكمه العدل، ويجازيهم بأعمالهم التي حفظها وكتبها وشهدها؛ ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾؛ ثم فصل هذا الفصل بينهم بقوله:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مدارج السالكين ٤/ ٤٨٤ – ٤٨٥.

(٣)﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الحج: ١٩]؛ كل يدعي أنه المحق: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يشمل كل كافر؛ من اليهود، والنصارىٰ، والمجوس، والصابئين، والمشركين..."(١) ثم ذكر الآيات التي تبين مصير هؤلاء الكفار، وذكر بعدها الصنف الصنف الثاني والخصمين وهم المسلمين وبين أنهم الذين آمنوا بجميع الكتب وجميع الرسل(٢).

وقد أشار الرازي إلىٰ مثل ما أشار إليه الشيخ هنا ورجحه في معنىٰ الآية؛ حيث بين أن الخصمين في الآية في قوله تعالىٰ ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾ [الحج: ١٩] الذين ذكرا بعد الآية التي وردت فيها الأديان يتوزعون أديان أهل الأرض؛ فهم إما من الذين كفروا أو من الذين آمنوا، وليس هناك ثالث(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٥٣٦.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ١٩ – ٢١.

المبحث الثاني
التعريف بأديان أهل الأرض في القرآن وأصولهم الكبرى

وقفنا في الصفحات السابقة علىٰ تقسيم القرآن للناس جميعـًا علىٰ ست ديانات كبرىٰ رئيسية ينضوي تحتها كل ملل العالم ونحله السابق منها واللاحق.

وهنا سنقف علىٰ الأصول الكبرىٰ من معتقدات هذه الأديان والتعريف بأهلها بإيجاز، وفق تقسيم القرآن والمسميات التي أطلقها عليهم في آية سورة الحج.

أولاً: الذين آمنوا:

وهم أتباع دين الإسلام والحنيفية في كل زمان ومكان، وهم الذين سماهم الله تعالىٰ في آية سورة الحج ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، وجعلهم أول المذكورين في الآية؛ فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[الحج: ١٧].

والذين آمنوا هم أهل الحق والإيمان في كل زمان ومكان، ويدخل فيهم أهل الإيمان من أمة محمد ﷺ دخولاً أوليـًا؛ قال الطبري:"أما"الذين آمنوا"فهم المصدقون رسول الله ﷺ فيما أتاهم به في الحق من عند الله وإيمانهم بذلك تصديقهم به"(١).

ويقول ابن عاشور:"الذين آمنوا... هم المسلمون الذين صدقوا بالنبي محمد ﷺ وهذا لقب للأمة الإسلامية في عرف القرآن"(٢).

وقال القرطبي:"قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: بالله وبمحمد"(٣).

وقال ابن كثير:"وسميت أمة محمد ﷺ مؤمنين؛ لكثرة إيمانهم، وشدة إيقانهم؛

---

(١) جامع البيان ٢/ ٣٢.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٥٣٢، وانظر ٤/ ٢٦٨، ٨/ ٢٢٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٣٧.

ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية، والغيوب الآتية"[1].

وقال في آية سورة المائدة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩] قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: وهم المسلمون"[2].

وأما التصدير بهم في هذه الآية وبذكرهم في طالعة المعدودين، ودمجهم معهم؛ فهو للتنويه بهم خاصة"لأن المسملين هم المثال الصالح في كمال الإيمان، والتحرز عن الغرور وعن تسرب مسارب الشرك إلىٰ عقائدهم...، فكان المسلمون؛ لأنهم الأوحدون في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح أولين في هذا الفضل"[3].

والذين آمنوا في آية الحج في قوله تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾المراد بها العموم وليست خاصة بالمؤمنين من أمة النبي ﷺ؛ ويدل علىٰ ذلك الآيتين في سورة البقرة وسورة المائدة، وقد تقدم بيان ذلك قريباً.

وقد ذكر ابن تيمية أن كل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً حين كان دينه مشروعاً من غير نسخ ولا تبديل فهو يندرج في مسمىٰ الذين آمنوا هنا، قال ابن تيمية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ في سورة المائدة عام، والأسماء المعارف كلها من صيغ العموم؛ ومن أولها علىٰ العموم الموصولات، وأدوات الشرط، وهذا خبر عنهم؛ فكل من كان من الذين هادوا والنصارىٰ والصابئين فقد دخل في لفظ الآية"[4].

ومثله قول الله تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٤.

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٢٠٩.

(٣) التحرير والتنوير ٤/ ٢٦٨.

(٤) تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٦٣.

﴿أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾[الحج: ١٧]ولما ذكرهم الله تعالىٰ في سورة البقرة وسورة المائدة بهذا الخبر العام؛ دل ذلك علىٰ أن من هذه الطوائف من يتصف بالإيمان، ويكون سعيداً، ليس كلهم كفاراً كالمشركين والمجوس، وذلك قبل بعثة النبي ﷺ[(١)].

وقد أجاب ابن تيمية عن الإشكال الذي أورده بعضهم حول آية سورة البقرة وآية سورة المائدة؛ حيث ظن بعض الناس أن الذين أخبر عنهم في الآية بأنهم أهل النجاة في الآخرة؛ إنما هم ممن بعث إليهم النبي ﷺ. ولم يخبر الله ﷻ فيها بحال من كان موجوداً قبل بعثة النبي ﷺ، وقد غلط هؤلاء في فهم الآية، ثم افترقوا في معناها علىٰ أقوال متناقضة مخالفة للفظ الآية ومعناها، وبين شيخ الإسلام أن الصواب أن الآية تتناول من اتصف بما ذكر فيها قبل مبعث النبي ﷺ، وأن هذا هو القول المعروف عن السلف أو جمهورهم فيها، كما ان لفظ الآية يدل علىٰ ذلك من غير تناقض، وبه يظهر مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

وسبب نزولها يؤيد هذا المعنىٰ؛ فقد روىٰ ابن أبي حاتم وغيره بالأسانيد عن سفيان بن عيينه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قال سلمان:"سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم فذكر من صلاتهم وعبادتهم؛ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾"[(٢)].

ويدل علىٰ ذلك أيضـاً حديث عياض بن حمار في الصحيح أن النبي ﷺ قال:"إن الله نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب"[(٣)].

"فدل علىٰ أنه حين بعثه الله كان في الأرض بقايا من أهل الكتاب لم يمقتهم

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ١٢٦، وانظر: تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٤١ وما بعدها؛ والحديث أخرجه البوصيري في اتحاف الخيرة المهرة بسنده وقال: هذا إسناد رواته ثقات ٦/ ٨٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٦٥).

الله"(١).

قال ابن عطية: "﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ الذين لفظ عام لكل مؤمن من ملة محمد ومن غيرها من الملل؛ فكأن ألفاظ الآية حصر بها الناس كلهم وبينت الطوائف على اختلافها وهذا تأويل جمهور المفسرين"(٢).

وهذه الآية آية سورة المائدة ومثلها آية سورة البقرة لا تعارض قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، إذ المراد بالإسلام في هذا الموضع هو الإسلام بالمعنى العام؛ وهو دين الأولين والأخرين وليس المراد بالإسلام هنا معناه الخاص الذي هو الشرائع التي بعث بها النبي ﷺ.

ولذا رد شيخ الإسلام دعوى النسخ هنا(٣).

قال ابن كثير: "والمقصود أن كل فرقة آمنت بالله وباليوم الآخر – وهو المعاد والجزاء يوم الدين – وعملت عملاً صالحًا؛ ولا يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقًا للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى الجميع الثقلين، فمن اتصف بذلك ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبلونه ولا على ما تركوا وراء ظهورهم ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾"(٤).

"فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى، فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى؛ فلم يدعها، ولم يتبع عيسى كان هالكًا، وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى؛ كان مؤمنًا مقبولاً منه حتى جاء محمد ﷺ؛ فمن لم يتبع محمداً ﷺ منهم ويدع ما كان

(١) تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٤٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٦ – ١٥٧.
(٣) انظر: تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٥١ وما بعدها، مجموع الفتاوى ١٨/ ٦٠، ١٩/ ٨٠، تفسير شيخ الإسلام ٣/ ٩٠، ٧/ ٦٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٢٠٩.

عليه من سنة عيسىٰ والإنجيل؛ كان هالكـًا"[١]، وهو ما رجحه الشيخ عبد الرحمن السعدي فقال:"والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف من حيث هم، لا بالنسبة إلىٰ الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ﷺ"[٢].

وبين الشيخ أن مناسبة الآية لما قبلها في سورة البقرة تدل علىٰ ذلك؛ حيث ذُكر بنو إسرائيل بالذم، وذكرت قبائحهم، ثم بين في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ الآية أن من آمن من هؤلاء لا يلحقه الذم[٣].

الأصول العقدية الكبرى للإسلام:

الإسلام هو دين الأولين والأخرين وهو الذي بعث به جميع الأنبياء والرسل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهو الدين الذي لا يقبل الله غيره قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وأصل هذا الدين هو إفراد الله تعالىٰ بالعبادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

فالتوحيد هو أصل الدين وقلبه وقطب رحاه وهو أعظم العدل، وهو الإسلام العام الذي اتفقت عليه جميع الأنبياء والمرسلين وأجمعت عليه جميع الكتب السماوية؛ قال ابن تيمية:"وأما الكتب السماوية المتواترة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقاطعة بأن الله لا يقبل من أحد دينـًا سوىٰ الحنيفية؛ وهي الإسلام العام: عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر"[٤].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٨٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٥٤.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) مجموع الفتاوىٰ ١/ ٤٠٠.

وهـذا الأصـل المحكـم في الإسـلام والـذي هـو التوحيـد لا يدخلـه النسـخ ولا التخصيص ولا الاستثناء، ولا يختلف أو يتغير من رسالة إلىٰ رسالة؛ بل هو واحد في كل رسالات الأنبياء وهو المراد من إرسالهم، وله فروع تبنىٰ عليه، ولا تصح إلا بـه، وتتخلف بتخلفه وهي قد تختلف من رسالة إلىٰ أخرىٰ. وهي بمثابة الحمىٰ للأصـل يوشـك مـن تخلفهـا جملـة أن ينخـرم، وقـد جعـل الله تعـالىٰ لكـل رسـول شـرعة ومنهاجـا[1]، فأمـا أصـل الـدين وقاعدتـه ولبـه، فهـو واحـد، وهـو الإيمـان بـالله ﷻ وتوحيده في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وذلك يستتبع الإيمان بالملائكة والكتب والرسل وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره والالتزام بما شرعه في الكتاب الذي أنزل، فهذا هو الأصل المحكم في كل رسالة وكتاب؛ وأما الشرائع فلكل أمة شريعة أمرها الله تعالىٰ بالتزامها؛ فكل مسلم حنيف يؤمن بما جاء به رسوله الذي أرسل إليه.

وهذ الأصل المحكم هو الحنيفية التي دعت إليها جميع الرسل من أولهم نـوح ﷺ إلىٰ آخرهم محمد ﷺ، ويدخل فيها الذين آمنوا بالله وباليوم الآخر، واتبعوا النبي المرسل إليهم ولم يغيروا أديانهم بالإشراك وإنكار البعث، فمن غَيَّر وبدَّل؛ خرج من الحنيفية ومال عنها، فمن مال عن الحنيفية من اليهود بخلطه أمور الشرك بدينه وعبادته لغير الله وجعل عزيراً ابن الله فقد خرج عن الإسلام، ومن مال عن الحنيفية من النصارىٰ بعبادة عيسىٰ وتأليهه، فقد خرج عن الإسلام ومن مال عن الحنيفية من الصابئة بعبادة الكواكب فقد خرج عن الإسلام. ولا يقبل الله تعالىٰ دينـًا غير الإسلام. ومن اتخذ الشرك والكفر بالله ورسله دينـًا له فلن يكون من السعداء ولا من الناجين[2].

---

(١) انظر: حد الإسلام ١٤٣ – ١٤٤.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٤/ ٢٧٠؛ تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٦٦، ٢٦٧؛ الصفدية ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، ٣٠٤.

ثانياً: الذين هادوا:

لفظ اليهود باعتباره اسم لديانة معينة أو شعب معين اختلف فيه على أقوال:

- فقيل أن اليهود اسم أعجمي معرب عن اسم يهوذا، ويهوذا هو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام، وهو رأس السبط الذي أصبح معروفاً باسمه؛ والعرب قلبت الذال دالاً وهو شأنهم عند نقلهم الأسماء من العجمية إلى العربية فقد يغيرون بعض حروفها(١).

- وقيل أن اللفظ عربي وهو مشتق من الهود أو التهود؛ ومعنى الهود: التوبة والرجوع، والهائد هو التائب، قال الطبري:"وأما الذين هادوا فهم اليهود، ومعنى هادوا تابوا... وقيل إنما سميت اليهود يهود من أجل قولهم:"إنا هدنا إليك"..."(٢).

- وقيل أنهم سموا بهذا الاسم لأنهم يتهودون؛ أي: يتحركون عند قراءة كتابهم المقدس(٣).

- وقيل سموا بذلك من الهوادة وهي المودة وذلك لمودتهم بعضهم بعضاً(٤).

واليهود يراد بهم أتباع موسى عليه السلام، واليهودي هو كل من اعتنق الديانة اليهودية؛ سواء كان من بني إسرائيل أو من غيرهم"ولعل هذا وجه اختيار لفظ الذين هادوا في الآية دون اليهود؛ ولو لم يكونوا من سبط يهودا، ثم صار اسم اليهود مطلقاً على المتدينين بدين التوراة؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ [البقرة: ١١٣] الآية؛ يقال تهود إذا اتبع شريعة التوراة... ويقال هاد إذ أدان باليهودية، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾ [الأنعام: ١٤٦]..."(٥).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٥٨.

(٢) جامع البيان ٢/ ٣٢، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٣، التحرير والتنوير ١/ ٥٣٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٨٣، تفسير الفخر الرازي ٢٣/ ١٩ وما بعدها.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٨٣.

(٥) التحرير والتنوير ١/ ٥٣٣، وانظر ٥٣٢.

كما أن هذا الاسم لا يختص بالكفار منهم فحسب؛ قال ابن تيمية: "لفظ الذين هادوا والنصارىٰ "يتناول جميع أهل الكتاب – التوراة والإنجيل – الذين كانوا قبل النسخ والتبديل والذين كانوا بعد ذلك، فهذا الاسم لا يختص بالكفار منهم، ولكن كانوا مسلمين ومؤمنين مع كونهم من بني إسرائيل ومن أهل الكتاب، وكذلك من اليهود والنصارىٰ"[1].

فاليهودية في أصلها ديانة صحيحة وكتابها التوراة المنزلة علىٰ موسىٰ عليه السلام الذي بعث بالإسلام وبعث به جميع الأنبياء والرسل ومدار الإسلام علىٰ التوحيد الخالص والخضوع لله تبارك وتعالىٰ والانقياد لأمره؛ كما أسلفنا.

واليهود هم حملة التوراة[2] ولكن هذه الديانة لم تبق علىٰ أصلها؛ وإنما مالت عن الحنيفية إلىٰ الشرك، فدخلت في دين أهل الباطل بهذا القيد، ثم نسخت بعد بعث النبي ﷺ بالإسلام الذي بعث به النبي ﷺ ونسخ كتابها بالقرآن العظيم[3].

الأصول العقدية الكبرى لليهودية المحرفة:

- **اعتقادهم في الله جل جلاله:**

يقرر اليهود في التوراة وفي التلمود أن وجود الله تعالىٰ حق، وأن العالم يدل عليه ولكنهم يصفونه بما لا يليق به جل جلاله في ألوهيته وربوبيته؛ فيشبهونه بالمخلوق؛ فهو عندهم إله يأكل، ويشرب، ويستريح، ويبكي، ويندم، وينسىٰ، ويتذكر؛ كما أنه يتدارس التلمود مع حاخاماتهم، ويحزن، وغيرها من الصفات التي ينزه الله تبارك وتعالىٰ عنها[4].

وقد حدثنا القرآن عن جملة من معتقداتهم الفاسدة، ومنها؛ إشراكهم في عبادة الله تعالىٰ فقد عبدوا العجل؛ كما اتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله جل جلاله، قال

(١) تفسير آيات أشكلت ١/ ٢٧٥ – ٢٧٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٢٠٩.

(٣) انظر: الموجز في الأديان ١٨.

(٤) انظر: التلمود وموقفه من الإلهيات ٢/ ١٥٧ وما بعدها.

تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] كما أنهم نسبوا إلىٰ الله الولد – تعالىٰ الله عن ذلك – قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] ونسبوا إلىٰ الله الفقر، وقالوا بأن يد الله مغلولة، فرد عليهم القرآن وكذبهم في قولهم، وتوعدهم علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

اعتقادهم في الملائكة:

صرح القرآن بموقف اليهود من جبريل ﷺ وأنهم يزعمون أنه عدو لهم، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧ – ٩٨].

واليهود في كتبهم ينتقصون من جبريل ﷺ وينسبون إليه ما لا يليق بملك من الملائكة وإن لم يعترفوا صراحة بعداوتهم له، ولكن القرآن كشف أمرهم وبين خبايا صدورهم وتنقصهم لملائكة الله الكرام[١].

اعتقادهم في الأنبياء والرسل:

أنكر اليهود نبوة محمد ﷺ وجحدوا ختمه للنبوة؛ مع أنهم يعرفون أنه رسول الله حقا وصدقًا كما يعرفون أبناءهم، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، كما أنهم ينسبون للأنبياء والرسل ما لا يليق بهم، ويطعنون فيهم، وقد بين القرآن أنهم يقتلون الأنبياء والصالحين من الناس وتوعدهم بالعذاب علىٰ ذلك؛ فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ

---

(١) انظر: التلمود وموقفه من الإلهيات ٢/ ٨٨٦ – ٨٩٢.

ﱡﭐ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﱠ [آل عمران: ٢١].

وبعض اليهود يزعمون أن شعبهم هو محل خزانة وحي الإله ولذا يختار الرب رسله منهم، وقد قالوا في التلمود بنبوة بعض النساء؛ والراجح في الإسلام عدم جواز نبوة النساء[١].

اعتقادهم في اليوم الآخر:

بين القرآن أن اليهود يزعمون أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود وطالبهم القرآن بالبرهان والدليل، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

والصدوقيون [٢] من اليهود ينكرون عقيدة البعث؛ وكذلك السامريون[٣]؛ بناءً علىٰ عدم وروده في التوراة، بينما يرىٰ الفريسيون[٤] أن كل جزء من التوراة يدل علىٰ اليوم الآخر، وقد اختلفوا في بعض قضايا البعث ويعتقد بعض اليهود بخلود الروح وبتناسخ الأرواح وذلك في الحقيقة إنكار للبعث[٥].

---

(١) انظر: الموجز في الأديان ٢٤، التلمود وموقفه من الإلهيات ٢/ ٩١٨ – ٩٢٣.

(٢) الصدقيون: إحدىٰ فرق اليهود القديمة ينتسبون إلىٰ كاهن لهم يسمىٰ صادوق؛ ينكرون البعث والحساب والجنة والنار والقضاء والقدروالملائكة ويقرون بالتوراة فقط. انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ١٤٣؛ الموسوعة الميسرة ١/ ٤٩٩.

(٣) السامريون: فرقة من فرق اليهود لا يؤمنون بنبي غير موسىٰ وهارون ويوشع بن نون ولا بكتاب غير التوراة ولغتهم ليست العبرانية ويقدسون جبل (جرزيم) بفلسطين. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ١١٤؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ١٤٣ – ١٤٤؛ الموسوعة الميسرة ١/ ٥٠٠.

(٤) الفريسيون: فرقة من فرق اليهود يسمون بالأحبار أو الربانيين وهم متصوفة رهبانية متشددة لا يتزوجون ولكنهم يحافظون علىٰ بقاء مذهبهم بالتبني يعتقدون بالملائكة واليوم الآخر.انظر الموسوعة الميسرة ١/ ٤٩٩؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ١٤٤.

(٥) انظر: التلمود وموقفه من الإلهيات ٢/ ٩٣٣، الموجز في الأديان ٢٠ – ٢٥.

ثالثاً: الصابئة:

الصابئة أمة من الأمم الكبار التي اختلف الناس فيها اختلافـاً كثيراً؛ وذلك بسبب عدم ظهور دينهم للآخرين، فهم يميلون إلىٰ العزلة وعدم الحرص علىٰ إظهار الدين ودعوة الآخرين إليه، ولهذا كان الاختلاف بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم(١).

والخلاف حولهم يدور حول سبب التسمية وأصلها، ويدور كذلك حول أقسامهم كذلك.

وقد تناول المفسرون وأهل العلم ذلك، كما تكلم عنهم وعن أصنافهم المؤرخون وكتاب الملل والنحل، قد ذكر ابن القيم أن الصابئة ليست من الأمم المستقلة التي لها كتاب ونبي؛ وإن كانوا من أهل دعوة الرسل؛ فما من أمة إلا خلا فيها نذير يقيم حجة الله عليهم، ويقطع حجتهم؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥](٢).

وقد ورد ذكر الصابئة في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالىٰ؛ وهي:

- الموضع الأول: في سورة البقرة في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

- الموضع الثاني: في سورة المائدة في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

- الموضع الثالث: في سورة الحج في قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ

(١) انظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٢٤٩، أصول الصابئة ٢٣٢، ٢٣٣، إبراهيم أبو الأنبياء ٩٠.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥١ – ٢٥٢.

ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧].

وقد اختلف في أصل التسمية على أقوال منها:

- قيل أنها مأخوذة من صبأ أو صبا، يقال: صبأ الرجل بالهمز إذا خرج من شيء إلى شيء، وصبا يصبو إذا مال؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف: ٣٣] أي: أمل.

قال الطبري:"والصابئون جمع صابئ، وهو المستحدث سوى دينه دينًا؛ كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئًا، يقال منه: صبأ فلان يصبأ صبأً، ويقال صبأت النجوم إذا طلعت..."(١).

وقال القرطبي:"قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾؛ جمع صائب، وقيل: صابٍ، ولذلك اختلفوا في همزه، وهمزه الجمهور إلا نافعًا، فمن همزه جعله من صبأت النجوم إذا طلعت، وصبأت ثنية الغلام إذا خرجت، ومن لم يهمز جعله من صبا يصبو إذا مال، فالصائب في اللغة مَنْ خرج ومال من دين إلى دين؛ ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صبأ فالصابئون قد خرجوا من دين أهل الكتاب"(٢).

"وكانت قريش تسمي النبي ﷺ الصابئ وأصحابه الصبأة".

والمهموز والمعتل يشتركان فالمهموز ميل عن الشيء، والمعتل ميل إليه، واسم الفاعل من المهموز: صائب على وزن قارئ، وجمعه صائبون كقارئون؛ واسم الفاعل من المعتل: صابٍ على وزن قاضٍ، وجمعه صابون كقاضون، وقد قرئ بهما جميعًا(٣).

- وقيل أنها مأخوذة من أصل عبري هو"صبع"أي غطس؛ وقد عرفت به طائفة

(١) جامع البيان ٢/ ٣٤، وانظر: التحرير والتنوير ١/ ٥٣٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٦١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١/ ٥٣٣.

يهودية نصرانية في العراق تسمىٰ بالمنديا، وهم يقومون بالتعميد كالنصارىٰ، وقد رجح ذلك الطاهر بن عاشور في تفسيره[١].

- وقيل مأخوذة من صبأوت وهي كلمة عبرية أيضـًا معناها جنود السماء؛ أي الكواكب[٢].

- وزعم بعضهم أنهم سُمّوا صابئة لأن دينهم أتىٰ به قوم من سبأ[٣].

- وقيل مأخوذ من السابحة لكثرة اغتسالهم في شعائرهم، وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك، وقيل غير ذلك[٤].

التعريف بالصابئة كديانة:

تعددت الأقوال في تعريف الصابئة كديانة، واختلف في ذلك علىٰ أقوال؛ منها:

القول الأول: أنهم قوم بين المجوس واليهود والنصارىٰ ليس لهم دين[٥]:

وهذا القول قال به مجاهد، والحسن، وعطاء، وسعيد بن جبير، وقد ذكر ابن تيمية أن هذا القول يروىٰ عن الثوري عن ليث عن مجاهد، وروي عن علماء نحو ذلك، وبين شيخ الإسلام أن المراد أنه ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي؛ وليس المراد بذلك أنهم كفارا، فإن فيهم من هو علىٰ الإسلام بمعناه العام، فالصابئة كما يقول ابن القيم ليست من الأمم المستقلة التي لها كتاب ونبي وإن كانوا من أهل دعوة الرسل وقد رجح ابن كثير قول مجاهد هذا[٦] وقول وهب بن منبه فيهم وسيأتي.

(١) انظر: التحرير والتنوير ١/ ٥٣٤.

(٢) انظر: إبراهيم أبو الأنبياء ٩٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١/ ٥٣٣.

(٤) انظر: إبراهيم أبو الأنبياء ٩٠، روح المعاني ٤/ ٢٩٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٤.

(٦) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٨٥، الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ١٨٣، إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥٢.

القول الثاني: أنهم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور:

وهو قول السدي، وأبي العالية، والضحاك، والربيع بن أنس، وجابر بن زيد، وإسحاق بن راهويه[١]؛ وقد ذكر ابن تيمية أن مراد هؤلاء من دخل في دين أهل الكتاب من الصابئة وليس جميع الصابئة؛ والأمر كذلك بالنسبة لمن قال أنهم صنف من النصارىٰ، وذكر ابن تيمية أن المرویٰ عن ابن عباس أنه قال هم صنف من النصارىٰ وهم السائحون المحلقة أوساط رؤسهم، فهؤلاء كما يرىٰ شيخ الإسلام عُرف منهم من دخل في أهل الكتاب[٢].

والسعدي في تفسيره يرىٰ أن ذلك هو الصحيح وأنهم من جملة فرق النصارىٰ[٣].

القول الثالث: أنهم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلىٰ القبلة ويقرأون الزبور ويصلون الخمس:

وهذا القول مروي عن الحسن البصري، وعن قتادة، وروىٰ ابن أبي حاتم في تفسيره وأبي جعفر الرازي أنهم يعبدون الملائكة ويقرأون الزبور ويصلون إلىٰ القبلة[٤].

قال ابن تيمية في توجيه هذا القول:"ومن قال إنهم يعبدون الملائكة كما يروىٰ عن الحسن قال: هم قوم يعبدون الملائكة، وعن أبي جعفر الرازي قال: بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون؛ فهذا أيضاً صحيح وهم صنف منهم، وهؤلاء كثير من الصابئين يعبدون الروحانيات العلوية؛ لكن هؤلاء من المشركين؛ فهم ليسوا من الحنفاء"[٥].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٤، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١/ ١٢٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٦٨.

(٢) انظر: الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ١٨٣، زاد المسير ١/ ٧٨.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ٥٤.

(٤) انظر: جامع البيان ٢/ ٣٧، تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٨٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٦١.

(٥) الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ١٨٤، تفسير شيخ الإسلام ١٢/ ٢٥٤.

ولعل هذا التوجيه أيضًا يصلح لمن قال أنهم قوم موحدون يعتقدون أثر النجوم، وأنها فعالة؛ ولمن قال أنهم قوم يعبدون الكواكب ثم لهم في ذلك قولان:

القول الأول: أن الله تعالىٰ خالق العالم هو الذي أمر بتعظيم الكواكب واتخاذها قبلة للصلاة والتعظيم والدعاء.

والقول الثاني لهم: أن الله تعالىٰ خالق الأفلاك والكواكب، والكواكب هي الآلهة المدبرة لهذا العالم ولذا يجب تعظيمها، ثم إنها تعبد الله[1].

القول الرابع: أنهم دين من الأديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله:

وهو قول عبد الرحمن بن زيد، وقد نقله الطبري بسنده إليه، وذكره شيخ الإسلام عنه في كتابه الرد علىٰ المنطقيين؛ وبين أن المراد بذلك أنه ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي، ولم يرد بذلك أنهم كفار؛ فإن الله قد أثنىٰ علىٰ بعضهم؛ ممن تمسك بالإسلام المشترك؛ وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصدق والعدل، وتحريم الفواحش والظلم؛ ونحو ذلك مما اتفقت الرسل علىٰ إيجابه وتحريمه؛ مما هو داخل في الإسلام العام الذي لا يقبل الله دينا سواه؛ كما هو شأن العرب قبل دخول عبادة الأوثان عليهم، فقد كانوا علىٰ الحنيفية، ولم يكن لهم كتاب يقرأونه ويتبعون شريعته[2].

ومثل ذلك ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن وهب بن منبه، حيث ذكر عنهم أنهم قوم يعرفون الله وحده وليست لهم شريعة يعملون بها ولم يحدثوا كفرا، ووهب بن منبه من أعلم الناس بأخبار الأمم المتقدمة كما ذكر ابن تيمية، والمقصود أنه ليس لهم شريعة مأخوذة عن نبي، وليس المقصود أنهم كفاراً، وقد رجح ابن كثير هذا القول وقول مجاهد المتقدم وذكر أن كونهم لا دين مقرر لهم يتبعونه هو الذي دفع المشركين أن ينبزوا من أسلم بالصابي!! أي: إنه قد خرج عن سائر أديان أهل

---

(١) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٠٢.

(٢) انظر: جامع البيان ٢/ ٣٦، زاد المسير ١/ ٧٨، الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ١٨٣.

الأرض إذ ذاك[1].

القول الخامس: أنهم قوم مما يلي العراق، يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون من كل سنة شهراً ثلاثين يوماً ويصلون إلىٰ اليمن كل يوم خمس صلوات:

وهذا القول أيضاً أورده ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده إلىٰ ابن أبي الزناد عن أبيه، وقد ذكر ابن تيمية أن هؤلاء هم الصابئة الذين أدركهم الإسلام وكانوا بأرض حران والذين خبروا أمرهم عرفوا من خلال ذلك أنهم ليسوا من أهل الكتاب، بل هم مشركون يعبدون الكواكب وإما إظهارهم للإيمان بالنبيين، فهو من جنس إيمان الفلاسفة بالنبيين، والفلاسفة الصابئة من هؤلاء[2].

القول السادس: أنهم قوم كالمجوس:

وقد ذكره ابو حيان عن الحسن والحكم[3].

القول السابع: أنهم قوم يشبه دينهم دين النصارىٰ إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون انهم علىٰ دين نوح عليه السلام[4].

وقد ذكر القرطبي عن الخليل بن أحمد قوله:"هم قوم يشبه دينهم دين النصارىٰ إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب، يزعمون أنهم علىٰ دين نوح عليه السلام"[5].

وذكر عنه أبو حيان في تفسيره قوله:"هم أشباه النصارىٰ؛ قبلتهم مهب الجنوب، يقرون بنوح، ويقرؤون الزبور، ويعبدون الملائكة"[6].

الأصول العقدية الكبرى للصابئة المشركة:

تقدم معنا أن الصابئة صنفان صنف موحد مسلم، ولم يحدثوا كفراً، وهؤلاء هم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١/ ٢٨٥، الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ١٨٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٤، الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ١٨٤.

(٣) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٠٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٦١.

(٦) البحر المحيط ١/ ٤٠١، ٤٠٢، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٤.

الذين أثنىٰ الله عليهم وهم متمسكون بالإسلام المشترك، فأصولهم العقدية التي يتميزون بها هي الإيمان بالله وحده وعبادته وحده لا شريك له، وإيجاب ما اتفقت عليه الرسل من الصدق والعدل ونحوها وتحريم ما حرمته الرسل من الفواحش والظلم ونحوها.

وقد دل القرآن علىٰ أن الصابئة ينقسمون إلىٰ مؤمن وكافر، ودلَّ علىٰ أن منهم الحنفاء الموحدون، ومنهم المشركون.

فقد ذكرهم الله تعالىٰ في الأمم التي تنقسم إلىٰ ناج وهالك؛ فعلم بذلك أن منهم الشقي ومنهم السعيد كما أسلفنا.

قال ابن تيمية: "الصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون وصابئة مشركون"(١)؛ وقد حقق القول في الموحدين مهم والحنفاء فقال: "هم الذين أثنىٰ الله عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] فأثنىٰ علىٰ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من هذه الملل الأربع: المؤمنين واليهود والنصارىٰ والصابئين، فهؤلاء كانوا يدينون بالتوراة قبل النسخ والتبديل وكذلك الذين دانوا بالإنجيل قبل النسخ والتبديل، والصابئون الذين كانوا قبل هؤلاء كالمتبعين لملة إبراهيم إمام الحنفاء صلىٰ الله عليه وصلىٰ علىٰ محمد... قبل نزول التوراة والإنجيل"(٢)، وقال أيضاً: "وأما الصابئون الحنفاء فهم في الصابئين بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتبديل من اليهود والنصارىٰ، وهؤلاء ممن حمدهم الله وأثنىٰ عليهم"(٣).

ومن هؤلاء الصابئة الحنفاء قدماء الفلاسفة الذين كانوا علىٰ التوحيد وكانوا

(١) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥٠، وانظر الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ٤٢.

(٢) الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ٤٢.

(٣) الرد علىٰ المنطقيين ٢/ ١٨٢ – ١٨٣.

يقولون بأن الله هو خالق العالم ومحدثه، وأن الأبدان تعاد كما تعاد الأرواح[1].

وأما الصابئة المشركة وهم النوع الثاني من أنواع الصابئة فقد بين ابن القيم أنهم أهل التعظيم للكواكب السبعة والبرج الاثنىٰ عشر، فهم يصورونها في هياكلهم، وهي المتعبدات الكبار كالكنائس للنصارىٰ والبيع لليهود، وهؤلاء الصابئة عباد الكواكب هم الذين ناظرهم الخليل عليه السلام في بطلان ألوهيتها بما حكاه الله عنهم في سورة الأنعام، ولهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة فهم يصورونها في الهياكل ويتخذون لها الأصنام ويقربون لها القرابين ولها صلوات خمس في اليوم والليلة نحو صلوات المسلمين[2]، ومن هؤلاء فلاسفة أيضاً بل أكثرهم فلاسفة، يقول ابن القيم عنهم:"وأكثر هذه الأمة فلاسفة، والفلاسفة يأخذون من كل دين بزعمهم محاسن ما دلت عليه العقول، وعقائدهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يحرمه، وسفهاؤهم وسفلتهم يمنعون ذلك"[3].

وقد ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره شيئاً من تاريخهم وسبب تنقلهم بين الأديان فقال عنهم وعن دينهم:"وهذا الدين دين قديم ظهر في بلاد الكلدان في العراق، وانتشر معظم أتباعه فيما بين الخابور ودجله وفيما بين الخابور والفرات، فكانوا في البطائح وكسكر في سواد واسط وفي حرّان من بلاد الجزيرة. وكان أهل هذا الدين نَبَطاً من بلاد العراق فلما ظهر فارس علىٰ إقليم العراق أزالوا مملكة الصابئين ومنعوهم عن عبادة الأصنام فلم يجسروا بعد علىٰ عبادة أوثانهم، وكذلك منع الروم أهل الشام والجزيرة من الصابئين فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف علىٰ التنصر، فبطلت عبادة الأوثان، منهم من ذلك الوقت، وتظاهروا بالنصرانية فلما ظهر الإسلام علىٰ بلادهم اعتبروا في جملة النصارىٰ، وقد كانت صابئة بلاد كسكر والبطائح معتبرين صنفاً من النصارىٰ ينتمون إلىٰ النبي يحي بن زكريا، ومع ذلك لهم كتب يزعمون أن

(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٣.

(٢) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ١٢٥، ١٢٦، إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥١ – ٢٥٢.

(٣) إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥١.

الله أنزلها علىٰ شيث بن آدم؛ ويسمونه"أغاثاديمون"، والنصارىٰ يسمونهم يوحناسية نسبة إلىٰ يوحنا وهو يحىٰ"[١].

وقد ذكر بعض المفسرين والعلماء والباحثين جملة من عقائدهم وما اشتركوا فيه مع الديانات الأخرىٰ ومن ذلك:

عقيدتهم في الله تعالىٰ:

كانوا يؤمنون بوجود خالق للعالم وأنه واحد حكيم مقدس عن سمات الحدوث إلا أنهم يبالغون في تنزيهه فيكثرون من وصفه بالسلب فهو عندهم علة لم يزل وواحد لا يتكثر ولا يلحقه شيء من المعلومات[٢].

وقد ذكر ابن تيمية ذلك عنهم وبين أن متأخري الصابئة لا يوصف الله عندهم بصفة ثبوتية؛ فلا يقولون إن له علمًا ومحبة ورحمة، ولا كلاما، وإنما يوصف عندهم بالسلب والنفي؛ فيقولون ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض، ولا داخل العالم ولا خارجه، أو يوصف عندهم بالإضافة مثل كونه مبدأ العالم أو العلة الأولىٰ، أو بصفة مركبة من السلب والإضافة فيقولون هو عاقل ومعقول وعقل.

بل هو لا يعلم الأمور إلىٰ علىٰ نحو كلي[٣].

تعظيم الكواكب:

وهذا هو جامع أصل دين الصابئة؛ فهم يعظمون الكواكب السيارة، والقمر، وبعض النجوم، وهم يرون أن البشر يفتقرون إلىٰ معرفة الإله، وهم عاجزون عن الوصول إلىٰ جلال الخالق؛ فلزم بذلك التقرب إليه بواسطة مخلوقات مقربة لديه غير وسائط البشر الجسمانية وزعموا أن هذه الوسائط الروحانية يجب أن تكون مقدسة، وتسمىٰ آلهة، ووسائل، وشفعاء عند الله رب الأرباب وإله الآلهة، وزعموا

(١) التحرير والتنوير ١/ ٥٣٤.

(٢) انظر: إبراهيم أبو الأنبياء٩٠، التحرير والتنوير ١/ ٥٣٤، الفهرست ٣٨٧.

(٣) انظر: تفسير آيات أشكلت ٢/ ٧٢٩ – ٧٣٠.

أن هذه الوسائط الروحانية تسكن الكواكب، وأن لكل روحاني منها جرماً سماوياً هو هيكله؛ فهو مدبره والمتصرف فيه، ثم ما لبثوا أن زعموا أن الوسائط الروحانية أيضاً لا سبيل إليها بعينها، وأوجبوا التقرب إلىٰ هيكله بالعبادات والقرابين فبنوا لها الهياكل؛ لتكون مهابط لأرواح الكواكب وعكفوا علىٰ عبادتها، وحرصوا علىٰ تطهيرها وتطييبها لكي تألفها الروحانيات بزعمهم، وجعلوا الكواكب تماثيل من الصور؛ توخياً لمحاكاة صور الروحانيات بظنهم[1].

عقيدتهم في الأنبياء والرسل:

عقيدة الصابئة في النبوة والأنبياء فيها اضطراب، فمن العلماء من يقول إنهم يقولون بعدم الحاجة إلىٰ بعثة الرسل؛ وأنهم يعللون ذلك بأن مدعي الرسالة من البشر؛ فلا يصلح أن يكون واسطة بين الناس والخالق، وهم أمثالنا في النوع وشركاؤنا في المادة، وأشكالنا في الصورة ويأكلون ويشربون مثلنا، وما هم إلا بشر مثلنا يريدون أن يتفضلوا علينا.

ومن العلماء من ينقل عنهم أنهم يؤمنون بالنبوة وما أرسلوا به من الدعوة إلىٰ رضوان الله ومن العلماء من ينقل إدعاءهم أنهم علىٰ دين نوح، بل هم يقولون أن أغاثا ديمون وهرمس (أي شيث بن آدم وإدريس) هما المعلمان الأولان لدين الصابئة[2].

وابن القيم ذكر عنهم أنهم كفروا بالأصلين اللَّذين جاءت بهما جميع الأنبياء والرسل، وهما:

* عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يُعبد سواه.
* والإيمان بالرسل وما جاءوا به من عند الله تصديقاً وامتثالاً.

وهذا هو مذهب جميع المشركين من جميع الطوائف وليس مذهب مشركة

(١) انظر: دعوة التوحيد ٢٦٢ – ٢٦٣، التحرير والتنوير ١/ ٥٣٤، ٣٥٣، إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥ وما بعدها.

(٢) انظر: دعوة التوحيد ١٤٢، التحرير والتنوير ١/ ٥٣٥، الفهرست ٣٨٧.

الصابئة فحسب[١].

وذكر ابن تيمية أن من أثبت النبوة منهم من متأخريهم زعم أنها فيض يفيض علىٰ نفس النبي من جنس ما يفيض علىٰ سائر النفوس، غير أن استعداد النبي أكمل من استعداد غيره، فيكون الفيض عليه أكمل، بحيث أنه يستطيع أن يعلم ما لا يعلمه غيره، ويسمع ما لا يسمعه غيره، ويبصر ما لا يبصره غيره، ونفسه تقدر علىٰ ما لا تقدر عليه نفس غيره[٢].

عقيدتهم في الكتب الإلهية:

ذكر ابن تيمية أن الصابئة المتأخرين لم يؤمنوا أن لله كلاماً أو يتكلم، أو يقول، أو ينزل من عنده كلاماً وذكراً علىٰ بشر، بل هو عندهم لا يكلم أحداً من البشر، وهم ينكرون أن يكون الله قد اتخذ إبراهيم خليلاً أو كلم موسىٰ تكليماً، ولا يخص موسىٰ بالكلام دون غيره ولا محمداً بالرسالة دون غيره، وأما الكلام الذي تقوله الأنبياء فهو كلامهم، وقولهم هم، وقول هؤلاء فيما جاء به الأنبياء هو من جنس قول الوليد بن المغيرة لما قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥][٣].

وأمة الصابئة قد شاركوا جميع الأمم وفارقوهم في الوقت ذاته، فالحنفاء منهم شاركوا أهل الإسلام في التوحيد، والمشركون منهم شاركوا أهل الشرك وعبادة الأصنام والكواكب وغيرهم.

- فهم شاركوا أصحاب العقائد السرية في كتمان كتبهم وشعائرهم عن غيرهم، واعتقاد الظاهر والباطن.

وشاركوا المجوس في التوجه للكواكب وتعظيمها.

وشاركوا المسيحية في التعميد.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥٣.

(٢) انظر: تفسير آيات أشكلت ٢/ ٧٣٠.

(٣) انظر: تفسير آيات أشكلت ٢/ ٧٢٩ – ٧٣١.

وشاركوا اليهود في بعض أعيادهم وطقوسهم وشعائرهم[1].

رابعاً: النصارى:

النصارىٰ جمع، والواحد نصراني، والمستفيض من كلام العرب أن الواحد من النصارىٰ نصراني، وحكي عنهم سماعـًا نصران بطرح الياء [2].

وقد سموا نصارىٰ إما لتناصرهم فيما بينهم أو لأنهم نزلوا أرضـًا يقال لها ناصرة، قال قتادة:"فتسموا بقرية يقال لها ناصرة، كان عيسىٰ ابن مريم صلىٰ الله عليه ينزلها"[3]؛ وهي:"قرية نشأت فيها مريم أم المسيح – عليهما السلام –، وقد خرجت مريم من الناصرة قاصدة بيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم، ولذلك كان بنو إسرائيل يدعونه بشيوع الناصري أو النصري، فهذا وجه تسمية أتباعه بالنصارىٰ"[4].

وقيل سموا بذلك لقوله: ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤].

والنصارىٰ هم المنتسبون إلىٰ ملة عيسىٰ عليه السلام وكتابهم الإنجيل؛ فهم حملة الإنجيل وهم في الأصل أصحاب دين منزل من عند الله تعالىٰ، ثم تحولوا عن التوحيد إلىٰ الشرك بعد ذلك، وغيروا، وبدلوا، وحرفوا نصوص الكتاب المنزل إليهم وقد نسخ دينهم بالإسلام ونسخ كتابهم الإنجيل بالقرآن العظيم[5].

الأصول العقدية الكبرى في النصرانية المحرفة:

عقيدة التثليث:

فهم يزعمون – تعالىٰ الله عن زعمهم – أن الله ثالث ثلاثة، وقد كذَّبهم الله تعالىٰ

(١) انظر: إبراهيم أبو الأنبياء ٨٧ – ٨٨، إغاثة اللهفان ٢/ ٢٥١، التحرير والتنوير ١/ ٥٣٥.

(٢) انظر جامع البيان ٢/ ٣٣.

(٣) جامع البيان ٢/ ٣٤.

(٤) التحرير والتنوير ١/ ٥٣٣.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٣٣٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٢٠٩.

في ذلك بقوله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٣ – ٧٥].

فالله سبحانه عند هؤلاء ثلاثة:

"الأول: الإله الأب؛ وله خصائص اللاهوتيه أي الإلهية وهو الله.

الثاني: الإله الإبن وله خصائص الناسوتية أي البشرية وهو عيسىٰ.

الثالث: الإله الروح القدس: وله خصائص الازدواجية بين الإلهية والبشرية، وهو الروح التي حلت في مريم"[١].

وقد استقر أمر النصارىٰ علىٰ هذه العقيدة بعد مجمع نقيا عام ٣٢٥م[٢].

تقديس الصليب والقول بالصلب والفداء:

فهم يزعمون أن عيسىٰ عليه السلام قد صلب تكفيراً لخطايا بني آدم، وزعموا أن الإله المتمثل في الابن قد قتل لأجل ذلك، وقد رد عليهم القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ – ١٥٨][٣].

تقديس الرهبان ورجال الكنيسة:

حيث يزعم هؤلاء أنهم يتكلمون نيابة عن الله، تعالىٰ الله، فيحلون ويحرمون ويمنحون صكوك الغفران، ولهم السلطة المطلقة في الدين، قال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ

(١) الموجز في الأديان ٧٢.

(٢) انظر: دراسات في اليهودية ٤٨١.

(٣) انظر: دراسات في اليهودية ٥٠٤، الموجز في الأديان ٧٤.

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١](١).

ويمتاز تاريخ النصرانية بكثرة الفرق والطوائف مقارنة بسائر الأديان الأخرىٰ، وهي اليوم كذلك، إلا أنها علىٰ كثرتها اليوم تنبثق إلىٰ حد كبير من ثلاث فرق رئيسية هي:

الكاثوليك:

وينسب إليها عامة النصارىٰ في الغرب، وهي تتبع النظام البابوي، والبابا عندهم هو المشرع بعد عيسىٰ ﷺ، وهو معصوم لايخطئ، وأوامره وإرادته إلهية لا ترد، ومن أهم أعماله إصدار صكوك الغفران من الذنوب السابقة واللاحقة دون حاجة إلىٰ التوبة؛ ومن أهم عقائد هذه الفرقة:

* الاعتقاد بالمساواة الكاملة بين الإله الأب والإله الابن.
* الاعتقاد بأن روح القدس نشأ من الأب والابن معـًا.
* الاعتقاد بأن المسيح طبيعتين ومشئتين، إحداهما لاهوتيه والأخرىٰ ناسوتية.
* الاعتراف بالذنب للقسيس وإصدار صكوك الغفران من قبله للمعترف.
* التعميد وهو طقس الغسل بالماء، وهو متفق عليه بين جميع فرق النصارىٰ، وهو تعبير عن غسل أجسام المذنبين، ليدفعهم للتوبة.

* العشاء الرباني ويقصدون به عشاء عيسىٰ مع تلاميذه، ومباركته لهم، وقد أوجب مجمع ترنت هذا الأمر كعبادة عام ١٥٤٥م، ١٥٦٣م، وذلك بأن يجتمع الناس يوم الأحد ويستمعون إلىٰ خطبة القسيس، ثم يأكلون الخبز، ويشربون الخمر بعد السجود؛ ظنـًا منهم أن عيسىٰ موجود في هذا العشاء الرباني(٢).

(١) انظر: الموجز في الأديان ٧٣.

(٢) انظرك دراسات في اليهودية ٤٦٦ – ٤٧٥، الموسوعة الميسرة ٦٠٦ وما بعدها.

الارثوذكسية:

وهم أتباع الكنيسة الشرقية وهي تتبع نظام الأكليروس، ويبدأ هذا النظام من البطريك وينتهي بالقسيس، وأتباع هذه الفرقة منتشرون في الشرق واليونان وتركيا وروسيا؛ ومن أهم عقائدها:

* أن روح القدس منبثقة عن الأب وحده.
* أن المسيح من طبيعة إلهية(١).
* أن السيدة مريم العذراء والدة الإله ويجب تقديسها.
* تقديس الصليب واتخاذه شعاراً ورمزاً.
* الإيمان بنصوص الكتاب المقدس.

البروتستانت:

وهم المحتجون علىٰ تصرفات البابا، والثائرون للإصلاح؛ ولذا لا يؤمنون بعصمته، ولا بعصمة رجال الدين، ومن أهم مبادئهم:

* الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للنصرانية.
* ليس للكنيسة غفران الذنوب بل هو من اختصاص الخالق.
* العشاء الرباني إنما هو تذكير بنداء المسيح للخليقة، ولا يحل المسيح في بدن من يأكل العشاء الرباني كما يزعم الكاثوليك.
* عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس؛ لأن ذلك مظهر من مظاهر الوثنية.
* لكل كنيسة حرية التصرف وليس لأي كنيسة سلطة علىٰ أخرىٰ.

وهؤلاء لا يختلفون عن بقية فرق النصارىٰ في عقيدة التثليث، وأولوهية المسيح وبنوته وصلبه.

خامساً: المجوس:

المجوس جمع مجوسي، والمجوسي نسبة إلىٰ المجوسية؛ وهي نحلة أهل

---

(١) انظر: دراسات في اليهودية ٤٧٥ وما بعدها، الموسوعة الميسرة ٥٨٣ وما بعدها.

فارس، والمجوس هم أهل دين يثبت إلهين اثنين؛ إلهاً للخير وإلهاً للشر.

والمجوسية ديانة وثنية وضعية لها فروع يجمعها هذا الأصل الباطل؛ وهو القول بإلهين اثنين[1]. قال القرطبي:"والمجوس هم عبدة النيران القائلون إن للعالم أصلين نوراً وظلمة"[2].

وهم ليسوا من أهل الكتاب؛ ولو كان لهم كتاب لكانوا قبل النسخ والتبديل على هدى؛ كما يرى ابن تيمية؛ ولكانوا يدخلوا الجنة إذا عملوا بشريعتهم المنزلة كما كان اليهود والنصارى قبل التبديل والنسخ، وهم أبعد عن الكتاب من الصابئة.

والمجوسية هي ديانة الفرس فغالب أتباعها منهم، وقد اختلف في سبب تسمية هذه الديانة بالمجوسية على أقوال:

فقيل إنها تسمى بهذا الاسم نسبة إلى رجل اسمه مجوس، وقيل المجوسية وصف لرجل انتسبت إليه المجوسية.

وقيل نسبة لقبيلة من قبائل الفرس.

وقيل المجوسية وصف لعبادة النار[3].

وذكر القرطبي أن المجوس في الأصل: النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات، والميم والنون يتعاقبان... ورد ذلك الألوسي[4].

وقيل أن المجوسية هي نفسها الزرادشتية والصحيح أن المجوسية أسبق من الزرادشتية؛ وإن كانت بعد ظهور الزرادشتية أصبحت هي هي أو أغلبها زرادشتية[5].

والمجوسية مرت بأطوار عدة، وأقدم نحل المجوسية هي التي أسسها كيومرث، وكان عصره يلقب"زروان"فكان أصل المجوسية هم أهل الديانة المسماة

(١) انظر: التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٣، روح المعاني ١٠/ ١٩٢، الموسوعة الميسرة ٢/ ١٣٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٣٣٧.

(٣) انظر: الملل والنحل ١/ ٢٧٤، الموسوعة الميسرة ٢/ ١١٣٩.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٣٣٧، روح المعاني ١٠/ ١٩٣.

(٥) انظر: الموسوعة الميسرة ١١٣٩.

الزروانية الذين يثبتون إلهين هما يزدان وأهرمن؛ ثم تفرعت ونشأت علىٰ هذا الدين نحل كلها متقاربة في التعاليم والعقائد الدينية فمنها نحلة الزرادشتية التي تنتسب إلىٰ زاردشت؛ الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، وبه اشتهرت المجوسية.

كما ظهرت في المجوس نحلة المانوية وهي المنسوبة إلىٰ"ماني"الذي ظهر زمن سابور بن أزدشير ملك الفرس ما بين سنة ٢٣٨ – ٢٧١م، وظهرت كذلك فيهم نحلة المزدكية وهي منسوبة إلىٰ"مزدك"الذي ظهر في زمن قباذ بين سنة ٤٨٧ و٥٢٣م وهي نحلة قريبة من نحلة المانوية، وهي آخر نحل المجوس ظهوراً فيهم قبل دخول الإسلام إلىٰ بلاد فارس[١].

ومع كثرة التحولات في المجوسية إلا أن أصولها العقدية الكبرىٰ متقاربة وفيما يلي بيانها:

الأصول العقدية الكبرى للمجوس:

الاعتقاد بالأصلين النور والظلمة:

وهذه التثنية اختصت بالمجوس كما يقول الشهرستاني؛ فقد أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين، يسمون أحدهما النور والآخر الظلمة، والمجوس الأصلية يرون أن النور هو الأزلي وأما الظلمة فهي محدثة، وهم متخبطون في كيفية حدوثها هل حدثت من النور؟ كيف والنور لا يحدث شراً جزئياً والظلمة أصل الشر، أم من شيء آخر؟ كيف ولا شيء يشرك النور في الإحداث والقدم؟[٢].

يقول الشهرستاني:"ومسائل المجوس كلها تدور علىٰ قاعدتين اثنتين:

إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص

(١) انظر: التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) انظر: الملل والنحل ١/ ٢٧٧ – ٢٧٨.

معاد"[١].

ويقول ابن عاشور:"فأما المجوس فهم أهل دين يثبت إلهين: إلهـًا للخير وإلهـًا للشر، فهم أهل فارس، ثـم هـي تتشعب شعبـًا تـأوي إلىٰ هـذين الأصلين، وأقدم النحل المجوسية أسسها (كيومرث)... وكان عصر (كيومرث) يلقب (زروان) أي الأزل، فكان أصل المجوسيه هم أهل الديانة المسماة الزروانية؛ وهي تثبت إلهين هما (يزدان) و(أهرمن)؛ قالوا: كان يزدان منفرداً بالوجود الأزلي وأنه كان نورانيـًا، وأنه بقي كذلك تسعة آلاف وتسعين سنة، ثم حدث له خاطر في نفسه أنه لو حدث له منازع كيف يكون الأمر، فنشأ من هذا الخاطر موجود جديد ظلماني سمي (أهرمن)؛ وهو إله الظلمة مطبوعـًا علىٰ الشر والضر... فحدث بين (أهرمن) وبين (يزدان) خلاف ومحاربة إلىٰ الأبد"[٢].

وقد رد الله تعالىٰ في كتابه العظيم علىٰ اعتقادهم بهذين الأصلين، ورد علىٰ مشركي العرب الذين تقلدوا بهذا الشرك من المجوس، وذلك لحصول المجاورة بهم؛ فقد كان بنو بكر بن وائل، وبنو تميم؛ مجاورين لبلاد فارس، والساري فيهم هو سلطان كسرىٰ وعوائدهم، فدان كثير منهم بالمجوسية المزديكة والمانوية في زمن كسرىٰ أبرويش وكسرىٰ أنوشروان، وأثبتوا عقيدة إلهين اثنين إله الخير وهو النور، وإله الشر وهو الظلمة. وهؤلاء لم يكونوا يجعلون لهذين الأصلين صوراً مجسمة فدينهم هذا يشبه الأديان التي لا تعبد صوراً محسوسة.

وقد رد الله عليهم في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]؛"وصيغة التثنية من قوله"إلهين"أكدت بلفظ"اثنين"؛ للدلالة علىٰ أن الاثنينية مقصودة بالنهي؛ إبطالاً لشرك مخصوص من إشراك المشركين، وأن لا اكتفاء بالنهي عن تعدد الإله؛ بل المقصود النهي عن التعدد الخاص؛ وهو قول المجوس بإلهين، وإذ نهو عن اتخاذ إلهين؛ فقد دل بدلالة

(١) المصدر السابق ١/ ٢٧٧.

(٢) التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٣، وانظر أيضـًا ٧/ ١٧١ – ١٧٢.

الاقتضاء علىٰ إبطال اتخاذ آلهة كثيرة"[١].

عبادة النار وعبادة الشمس والقمر[٢]:

فقد أورد ابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة ﷺ قوله:"والمجوس عبدة الشمس والقمر والنيران"وعن عكرمة ﷺ قال:"قالت اليهود عزيز ابن الله... وقالت المجوس"نحن نعبد الشمس والقمر من دون الله"[٣].

واقتصر البعض علىٰ وصفهم بعبادة الشمس والقمر، وآخرون علىٰ وصفهم بعبادة النيران، وقد ذكر الشهرستاني تعظيمهم للنار، وبناؤهم لبيوت النيران وكثرتها.

وقد ذُكر أنَّ زرادشت لما ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، سمىٰ إله الخير (أهو رامزدا) أو (أرمزد) أو (هرمز) وجعله نوراً، ودعا الناس لعبادة النار علىٰ أنها مظهر إله الخير وهو النور، وهو مصدر الخير والإنعام[٤].

اعتقادهم في النبوة:

يعتقد المجوس أن كيومرث هو المبدأ الأول للخلق، وربما يقولون زروان الكبير، ويعتقدون أن زرادشت هو النبي الثاني، ومعنىٰ كيومرث عندهم هو الحي الناطق، وقد ورد في تواريخ الهند والعجم أنَّ كيومرث هذا هو آدم ﷺ؛ وبذلك تقول الكيومرثية[٥].

وقد وضع لهم زرادشت كتاباً سماه"زندافستا"[٦].

وهم يدعون له الخوارق والمعجزات، قال ابن حزم:"وقد نقلت كواف المجوس الآيات المعجزات عن زرادشت"كالصفر"الذي أفرغ وهو مذاب علىٰ

(١) المصدر السابق ٧/ ١٧٢ – ١٧٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٧/ ١٧١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٤٧٨.

(٤) انظر: روح المعاني ١٠/ ١٩٢.

(٥) انظر: الملل والنحل ١/ ٢٧٨.

(٦) انظر: التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٤.

صدره؛ فلم يضره، وقوائم الفرس التي غاصت في بطنه فأخرجها، وغير ذلك"[(١)].

فهم يخلطون النبوة بالشعوذة والسحر والشرك والدجل.

وقد مزق كسرىٰ ملك فارس كتاب النبي ﷺ لما بعث إليه النبي ﷺ به؛ يدعوه إلىٰ الإسلام فدعا عليه النبي ﷺ يمزق الله ملكه فكان.

تقديسهم للملوك والأئمة منهم:

وذكر الشهرستاني عنهم أنَّ منهم صنف يقال لهم السيسانية، والبهامزيدية لهم رئيس يدعىٰ سيسان؛ وضع لهم كتاباً، وحملهم علىٰ استقبال الشمس عند السجود علىٰ ركبة واحدة، فلما صلب أيام أبي مسلم الخرساني زعم أصحابه أنه صعد إلىٰ السماء، وأنه سيعود وينتقم من أعدائه، وقد أقر هؤلاء بنبوة زرادشت وعظموا الملوك الذين عظمهم زرادشت[(٢)].

القول بتناسخ الأرواح:

وهي عقيدة باطلة يدعي أصحابها أن الروح تنتقل من بدن قد مات صاحبه إلىٰ بدن مخلوق آخر حي؛ سواء كان إنساناً أو حيواناً؛ لتعطىٰ الروح فرصة للتطهر، وقد تأثر بهذه العقيدة ذات الأصول الهندوسية المانوية من المجوس، وكان من لوازمها عندهم القول بعدم ختم النبوة والرسالة، بل كل رسول يموت تحل روحه في بدن مختار آخر؛ ليحمل الرسالة مكانه، وقد أثرت هذه العقيدة لدىٰ المجوس في ظهور مدعي النبوة لدىٰ المسلمين[(٣)].

سادسا: الذين أشركوا:

تواطأت كلمة المفسرين علىٰ أن المراد بالمشركين في سورة الحج في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ

(١) الفصل ١/ ١٩٧.

(٢) انظر: الملل والنحل ١/ ٢٨٤.

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة ٢/ ١٠٣٢.

ﵟٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧ﵞ [الحج: ١٧]؛ هم عبدة الأوثان[١].

فذكر ابن كثير أن المشركين هم الذين عبدوا غير الله معه[٢].

وقال الآلوسي:"ﵟوَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْﵞ المشهور أنهم عبدة الأوثان، وقيل: ما يعمهم وسائر من عبد مع الله تعالىٰ إلهـًا آخر من ملك وكوكب، وغيرهما، ممن لم يشتهر باسم خاص كالصابئة والمجوس"[٣].

وفسرها الطبري أنهم من عبد الأوثان والأصنام؛ وروىٰ بسنده عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﵟإِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْﵞ [الحج: ١٧] قال: الصابئون قوم يعبدون الملائكة، ويصلون القبلة، ويقرؤون الزبور، والمجوس يعبدون الشمس والقمر والنيران، والذين أشركوا يعبدون الأوثان، والأديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن"[٤].

وذكر أبو حيان أنهم عبدة الأوثان والأصنام ومن عُبِد غير الله[٥].

قال ابن تيمية:"المجوس والمشركين ليس منهم من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحـًا، بل كلهم كفار"[٦].

وذكر في موضع آخر أن المشركين ليس منهم من هو سعيد في الآخرة، بل هم شر من المجوس، فلا تحل نسائهم ولا طعامهم باتفاق الأمة، وجمهور العلماء علىٰ أن المشركين لا يقرون علىٰ الجزية، وإن أُقرت المجوس؛ فإن النبي ﷺ لم يقبل

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٧٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ٣٣٧، روح المعاني ١٠/ ١٩٣، البحر المحيط ٦/ ٣٣٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٢٣٦٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٢٣٦٩.

(٣) روح المعاني ١٠/ ١٩٣.

(٤) جامع البيان ١٦/ ٤٨٥، ٤٨٦.

(٥) انظر: البحر المحيط ٦/ ٣٣٣.

(٦) الصفدية ٢/ ٢٤٤.

الجزية من أحد من المشركين(١).

والشرك هو أن يُجعل لله تعالىٰ نداً أو شريكـًا في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته فيصرف لهذا الند ما هو مختص بالباري ﷻ(٢).

والشرك طارئ علىٰ بني آدم فقد خلقهم الله تعالىٰ مفطورين علىٰ التوحيد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

والناس في تاريخهم الطويل من آدم إلىٰ نوح عليهما السلام كانوا علىٰ التوحيد الخالص، وأول ما بدأ الشرك في قوم نوح؛ فأرسل الله تعالىٰ إليهم نوحـًا ليعيدهم إلىٰ حياض التوحيد ونوره، كما ظهر الشرك في قوم هود، فَبُعِثَ إليهم هودا، وقد جعل الله تعالىٰ الأنبياء والرسل هداة للناس إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، ومنذرين لهم بين يدي عذاب شديد، وقد قص علينا القرآن قصص أمم كثيرة ظهر فيها الشرك وبعث الله إليهم الأنبياء والرسل(٣).

والشرك نوعان:

- شرك في التعطيل: وهو أقبح الأنواع كشرك فرعون في قوله: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] فقد عطل حق التوحيد لله.

ومنه تعطيل المصنوع عن صانعه مثل شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته.

ومنه تعطيل الصانع عن كماله المقدس؛ كتعطيل غلاة الجهمية، والقرامطة نفاة الأسماء والصفات.

ومثله شرك منكري الرسالة، ومنكري القدر، وشرك التشريع والتحليل

(١) انظر: الصفدية ٢/ ٣٠٤، مجموع الفتاوىٰ ٨/ ١٠٠، تفسير شيخ الإسلام ٤/ ٤٠٩.

(٢) انظر: الشرك بالله أنواعه وأحكامه ٣٨، منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك ١٥ – ١٦.

(٣) انظر: دعوة التوحيد ٩٦ وما بعدها.

والتحريم من غير الله.

ومنه أيضـًا شرك أصحاب وحدة الوجود؛ الذين يقولون ما ثم خالق ومخلوق.

- والنوع الثاني هو شـرك الأنـداد بـأن يجعـل لله نـداً ومعـه إلهـًا آخـر؛ ولـو لـم يعطل ربوبيته.

ومن هـذا النـوع شـرك النصـارىٰ القـائلين بالتثليـث، وشـرك المجـوس القـائلين بإسـناد حـوادث الخيـر والشـر إلـىٰ النـور والظلمـة؛ وشـرك القدريـه أصـحاب معبـد الجهني.

وشـرك فرعـون لمـا قـال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصـص: ٣٨]، وشـرك الصـابئة عبـاد الكواكـب وغيـرهم؛ وشـرك العـرب الـوثنيين عبـاد الأصـنام ونحوهم[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: الشرك في القديم والحديث ١/ ١٤٢ – ١٤٥.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فهذه أهم نتائج هذا البحث أجملها في التالي:

١- أنَّ الدين في الاصطلاح العام يطلق علىٰ الدين الحق وعلىٰ الدين الباطل.

٢- أنَّ الدين في الاصطلاح الإسلامي هو التسليم لله تعالىٰ والانقياد لأمره.

٣- أنَّ أقسام الأديان التي تتوزع عليها البشرية جمعاء هي الإسلام واليهودية والنصرانية وديانة الصابئة والمجوسية والشرك.

٤- أنَّ الدين عند الله الإسلام وهو دين الأولين والآخرين.

٥- أنَّ الإيمان بالله واليوم الآخر هو سبب النجاة والسعادة في الآخرة.

٦- أنَّ الإسلام نسخ جميع الأديان السابقة.

٧- أنَّ من اليهود والنصارىٰ والصابئة مؤمنون موحدون، ومنهم مشركون؛ فمن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً واتبع الرسول الذي أمر بإتباعه في زمانه فهو الموحد.

❊ ❊ ❊

المصادر المراجع

١. إبراهيم أبو الأنبياء، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٢. أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، دار المدىٰ، دمشق، ط١٩٩٩م.
٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الفخر الرازي، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٤. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت.
٥. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.
٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس
٧. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ابن جرير الطبري، دار هجر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ.
٨. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب، الفخر الرازي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٩م.
٩. تفسير القرآن العظيم، (تفسير ابن كثير)، تحقيق: محمد البنا، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
١٠. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ.
١١. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢. تفسير آيات أشكلت، أحمد بن تيمية، تحقيق عبد العزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ
١٣. تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الجامع كلام الإمام ابن تيمية في التفسير، جمع

وتحقيق: إياد القيسي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٣٢هـ.
١٤. التلمود وموقفه من الإلهيات عرض ونقد، أبو بكر محمد ثاني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٧. حد الإسلام وحقيقة الإيمان، عبد المجيد الشاذلي، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة.
١٨. الدر المنثور في التفسير بالماثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد الله التركي، مكز هجر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
١٩. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٠. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، أضواء السلف،الرياض، ط٥،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٢١. دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٢. الدين، محمد عبد الله دراز، مؤسسة إقرأ.
٢٣. الرد علىٰ المنطقيين، ابن تيمية، تحقيق: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، صححه: محمد العرب، المكتبة التجارية، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٢٥. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٢٦. الشرك بالله تعالىٰ أنواعه وأحكامه، ماجد شبالة، دار الإيمان، الإسكندرية.

٢٧. الشرك في القديم والحديث، محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، ط٤، ١٤٢٦هـ - ٢٠١٥م.
٢٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م.
٢٩. الصفدية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الهدىٰ البغوي، مصر، ط١، ١٤٢١هـ.
٣٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، تحقيق: محمد نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.
٣١. فقه الأسماء الحسنىٰ، عبد الرزاق البدر، ط٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٣٢. الفهرست، ابن النديم، اعتنىٰ به: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
٣٣. قاعدة في المحبة، أحمد بن تيمية ن تحقيق فواز زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، ط ٢، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٣٤. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ.
٣٥. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٣٦. مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١٤١٢هـ.
٣٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية، تحقيق: المجلس العلمي بتارودانت، ط١، ١٤١٣هـ.
٣٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الحديث، القاهرة.
٣٩. معجم المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.

٤٠. الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: أمير مهنا وعلىٰ الفاعور، دار المعرفة، بيروت، ط٦، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤١. منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك، إبراهيم الحميضي، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٤٢. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري، ناصر العقل، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تحت إشراف: مانع الجهني، الندوة العالمية، الرياض، ط٥، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٤٤. هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد الحاج، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

